شعراء وادباء واكاديميون
يتحدثون عن تجربة الشاعرة الرائدة نازك الملائكة

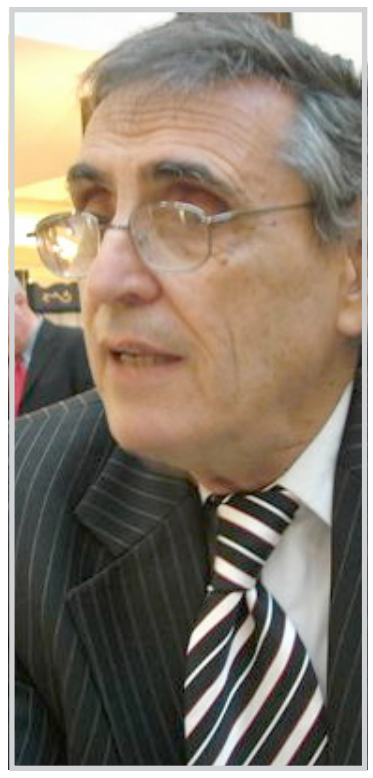
صادق الصائغ

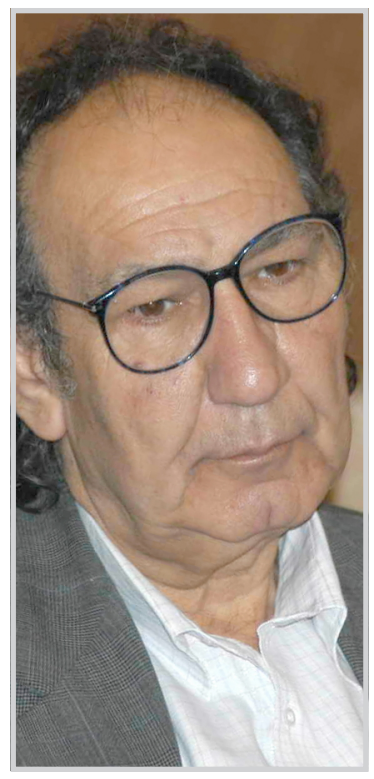
د. مالك المطلبي

طالب عبد العزيز

كريم شغيدل

جمال كريم

اخيراً توقف قلب الشاعرة الرائدة المبدعة نازك الملائكة في القاهرة مساء التاسع عشر من الشهر الجاري وبرحيلها يكون الشعر العراقي الحديث بل العربي قد فقد واحدة من قاماته الابداعية الساهقة. والملائكة شاعرة رائدة فضلاً عن جهدها النقدي المميز، وقد ولدت في بغداد عام ١٩٢٣ وقد عاشت في حاضنة ادبية وعلمية ودرست الى جانب مجايليها من مبدعي الشعر العراقي الحديث في دار المعلمين العالية وتخرجت عام ١٩٤٤ بدرجة امتياز، وواصلت دراستها العليا في بجامعة "وسكونس" بالولايات المتحدة الاميركية ونالت شهادة الماجستير في الادب المقارن عام ١٩٥٠ ,

وقد عملت استاذة مساعدة في كلية التربية جامعة البصرة، كما عملت لسنوات في جامعة الكويت، من مجاميعها الشعرية: "عاشقة الليل" ١٩٤٧ و"شظايا ورماد" ١٩٤٩، و"قرارة الموجة" ١٩٥٧، و"شجرة القمر" ١٩٦٨ و"مأساة الحياة واغنية للانسان" ١٩٧٠ ولها من الكتب "قضايا الشعر المعاصر" ١٩٦٢، و"على محمود طه" و"التجزيئية في المجتمع" و"الصومعة والشرفة الحمراء" و"سيكولوجية الشعر" وطبعت اشعارها في مجلدين دار العودة في بيروت عام ١٩٧١ عن تجربة الشاعرة الابداعية والريادية في الشعر، فضلاً عن جهودها النقدية، اتصلت "المدى" بنخبة من الشعراء والادباء والاكاديميين للحديث عن تجربة الراحلة نازك الملائكة.

نازك لم تستنفد مخزون الطاقة الشعرية المعاصرة

الشاعر والمستشار الثقافي السابق صادق الصائغ تحدث بالقول:

تكاد تكون مسلمة تفيد ان اهمية نازك الملائكة مرتبطة بالانعطافة الريادية في الشعر العراقي بشكل خاص، والعربي بشكل عام وتتضاعف هذه الاهمية كون الشاعرة حققت حضوراً مميزاً على مستويين الاول وهو الاهم، فيرتبط بكسرها قداسة التقليد في بنية القصيدة العمودية وفي الازاحات التي حققتها في استغنائها عن البيت العمودي الاتباعي، وبها شخصت مساحة مميزة لاوليات الحداثة في الشعر العربي، اما ثاني المستويين وهو الاضعف فيتعلق بحضورها النسوي في مجتمع ذكوري متزمت يزهو بها كشاعرة ويقمعها كامرأة تحاول ان تتنفس هواء العصر لقد كانت ريادة نازك بحث طويل البعض من الدارسين والباحثين يميلون الى وضعها في خانة الريادة التأريخانية، مفردين لبدر شاكر السياب والبياتي والى حد ما بلند الحيدي نوعاً آخر من الريادة يمكن ان يطلق عليها مصطلح الريادة النوعية هذا الجدل تاسس على تأريخانية القصيدة الاولى التي كتبتها نازك واعتبرت بمثابة الانعطافة الاولى في السياق الشعري التقليدي، واعتبر البعض ان قصيدة "الكوليرا" كانت اول تجسيد لشكل ومضمون القصيدة الحديثة ولا توجد حتى الان حجة معتمدة تؤكد او تنفي هذه الواقعة وسواء كانت هي او السياب من حقق الضربة الاولى في هذه الانعطافة، فان هذه المسألة تصبح جانبية وغير ذات اهمية، عندما يفتح النقد سجل الريادة بمضمونها النوعي.

فنازك قياساً بمجايليها الرياديين كانت في الشعر وفي الاجتماع والسياسة محافظة بل ومتزمتة وفي نقودها كمنظرة لم تفسح للطاقة الجديدة تستنفد كل مخزونها في قصائدها اورومانتيكية لم ينعكس تأثيرها على جيلها او الجيل الذي تلاها، وعلى عكس البياتي والسياب لم ينعكس تأثيرها على ذائقة المحيط الشعري العربي لذلك نرى عند تتبع السياق النقدي الشعري ان هناك من يحجز نازك في نطاق الريادة التاريخانية لا النوعية ومعروف انها استقلت عن كل التيارات التي شقت طريقاً مميزاً ومعاصراً في الشعر والنثر معاً بل ووقفت عائقاً امام اجيال جديدة اطلعت على تجربتها الشعرية، لكنها لم تعتمدها رئة ابداعية تتنفس وتنطلق منها روح الحداثة بمعناها المعرفي والشعوري الذي طبع القصيدة الحديثة التي افلتت من تنظيرات نازك ورسمت لها افقاً في الطريق المعاكس.

نازك أول من تبنت المنهج الشكلي التركيبي

وعن تجربة الملائكة تحدث د. مالك المطلبي قائلاً:تعد نازك الملائكة جزءاً رئيساً من انعطافة الحداثة في الشعر العراقي، من غير ان ندخل التقاطع المتكرر الذي يدور حول السابق واللاحق، لكنني اعتقد ان اهم ما يميز نازك الملائكة، ليس الدرجة في الحداثة الشعرية، لانها ظلت متمسكة بالاطار القديم وهذا يعود الى كون التراث متأصلاً في ثقافتها.

ان الشيء المهم الذي يشكل تراث نازك الملائكة الاساسي هو نتاجها النقدي، انني انظر الى نازك، كما كتبت ذلك قبل عشرين عاماً تحت مصطلح الوعي المزدوج أن مؤسس النظرية النقدية هو نازك الملائكة أنا اعتقد انها أول من تبنت المنهج الشكلي التركيبي "البنيوي" على حساب المناهج السائدة والقوية والعنيفة كالمناهج النفسية والاجتماعية والسيرية، في الحقيقة هذا هو الانعطاف الحقيقي الذي قدمته نازك الملائكة في كتاب النقد العربي.

نقطة الانطلاق كانت عام ١٩٤٨

اما د. سمير الخليل فقد شاركنا الحديث بالقول:

لاشك ان نازك الملائكة، نقطة مضيئة في ادبنا العربي الحديث، لما استطاعت ان تنهض في مجال الحداثة الشعرية فقد كانت تمتلك وعياً بالتجديد متميزاً عن مجايليها ولعل ذلك ما دفع الشاعر سامي مهدي أن يعدها في كتابة "وعي التجديد" هي الاكثر "رؤيا" في مجال تجسيد حداثة الشعر، وكانت اول من كتب قصيدة تتميز بالخروج على النظام العروضي للشعر العربي في قصيدتها "الكوليرا" كما هو معروف، غير ان بدر شاكر السياب قال بانه كتب قصيدته "هل كان حباً" قبلها لكنه لم ينشرها وأرى ان القصيدتين لا تمثلان القصيدة في نمطها المعروف لان كليهما مازال يتساقط حليب التراث من فمه وأحسن الدكتور احسان عباس حينما جعل قصيدة نازك الملائكة "الخيط المشدود في شجرة السرو" هي نقطة انطلاق الشعر الحر الحقيقية واعد كذلك قصيدة "في السوق القديم للسياب" هي أيضاً نقطة انطلاق حقيقية لبداية الشعر الحر عند السياب. ومضى احسان عباس يلخص ويشرح ويفسر ويعلق بما هو مجز وطريف. واشار الى ما للقصيدتين من عمق الاحساس بالغربة في ذلك الجو الليلي.

باختصار أقول ان نقطة الانطلاق الحقيقية بالنسبة للشاعرين هي عام ١٩٤٨ في القصيدتين المذكورتين وبذلك نغلق باب الجدل غير المجدي حول أيهما اسبق في كتابة قصيدة الشعر الحر.

نازك انموذج المثقف الذي صنعته ليبرالية الأربعينيات

وتحدث الشاعر كريم شغيدل عن تجربة الملائكة بالقول:

تعد نازك الملائكة لحظة تحول حاسم في الثقافة العراقية، لا لانها كرست ما يمكن أن نسميه بالادب النسوي، بل لانها، خاضت التجربة الشعرية بفحولة نادرة لانها تعاملت مع الشعر بوصفه مشروعاً فنياً واخلاقياً ولم تعتمد الموهبة المجردة، بل راحت تتعمق في دراسة الشعر، لاسيما بنيته الايقاعية وبعلمية راحت تتعامل مع بحور الشعر الجاهزة بتحولات جمالية ودلالية، تستند الى سقف نظري، أسست له بشكل موسع، ولم تكرر هذه التجربة أي تجربة الشاعر الموهوب، صاحب المشروع والمنظر له في آن واحد، فنازك الملائكة تخطت الموهبة الشعرية الى المشروع الشعري، واطرت هذا المشروع بجهود نظرية، أصبحت مرجعاً في العراق، ولو اتيحت لها الفرصة وهيئت لها الاجواء في مرحلة السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي، مثلما كانت مهيأة في الاربعينيات والخمسينيات لكانت قد أنجزت شيئاً اكبر، الا ان تجربتها قد انقطعت ربما بسبب الاحداث والتحولات السياسية في البلاد، والتي استلبت المثقف والمشروع الثقافي الحداثي، فما كان لها إلا ان تنسحب بهدوء، لتخوض تجربة المنفى الاختياري وتكريس جهودها للدراسة والتدريس..

وانا أرى في انسحابها موقفاً مما جرى في المشهد السياسي العراقي، وبالنتيجة تعد نازك الملائكة، انموذج المثقف الذي صنعته ليبرالية الاربعينيات بالرغم من تحفظاتنا على التجربة الليبرالية آنذاك.

فقدان الشاعرة نازك الملائكة خسارة كبيرة.

وتحدثت الشاعرة سهام جبار قائلة:

إن الشاعرة نازك الملائكة دليل حيوي على وجود رؤية انسانية متقدمة وفي الحقيقة أريد ان أركز على الجانب الانثوي في انها شاعرة حيوية بمعنى انها استطاعت ان تدع أثراً شخصياً مؤثراً في شعرها وفي كتاباتها الادبية والنقدية لذلك، يبخس كثير من الدارسين هذه الاهمية الحيوية باضفاء اهتمام نقدي ذكوري غير محتف بهذا الاثر الحيوي الذي يستشعره القارئ ولاسيما في نطاق الشعرية العراقية التي، لم تحظ بالاستحقاق النقدي الذي يتوجب لها. وليس الاهتمام بريادية نازك الملائكة بمغنٍ عن الالتفات الى النقطة التي أثرتها ها هنا.

ربما يأتي تأكيدي على هذا الحضور الشخصي المميز للشاعرة الرائدة الملائكة، لأنني كثيراً ما أفتقد مثل هذا الاهتمام في النظر الى ما تنجزه الشاعرة العراقية عامة. بالتأكيد يتمثل فقداننا للشاعرة الكبيرة نازك الملائكة، خسراناً كبيراً، ينسجم مع الخسارات المستمرة التي نشهدها كل يوم في مجال منارات الابداع وأعلامه ولكن لي عزاء، أختلف فيه مع الآخرين لانها قد توفيت في منفاها الاختياري إذ أجد ان ذلك، باعثاً على الشعور بانها ماتت بطمأنينة وسلام، لاتحت وقع الانفجارات والمفخخات المرعب الذي يعيشه العراقيون في وطنهم.

فالمنفى هنا، أكثر رحمة من أحضان وطن قاس..

وقالت إيناس البدران رئيسة منتدى نازك الملائكة:

مساء الاربعاء التاسع عشر من حزيران فقد الشعر العراقي بشكل خاص والعربي بشكل عام رائدة من رائدات الشعر الحر، هي الشاعرة العراقية الكبيرة نازك الملائكة وشاء القدر ان تفارق الحياة في اليوم العالمي للاجئين، ربما لتكون صرختها الاخيرة، تذكيراً بمأساة العراقيين في منافيهم، وكان الاتحاد العام للادباء والكتاب، قد أهاب في بيان أصدره منتدى نازك الملائكة برئاسة الجمهورية ومجلس الوزراء ووزارة الثقافة الى قيام الدولة العراقية برعاية وعلاج الشاعرة الكبيرة والتي كانت تقيم في القاهرة، كما طلب الاتحاد من وزارة التربية وامانة بغداد اطلاق اسمها على احدى المدارس وبعض الشوارع والساحات العامة تخليداً لمنجزها الابداعي .

الشاعر مجيد الموسوي قال:

فقدان الشاعرة الرائدة الكبيرة نازك الملائكة خسارة حقيقية كبيرة للشعر والنقد الادبي والثقافة عموماً.

أما الشاعر طالب عبد العزيز

فقد تحدث قائلاً:

مما يؤسف له اننا اصبحنا لاننظر لحياتنا إلا من خلال سياستنا الحزبية وتأتي وفاة الشاعرة الرائدة نازك الملائكة لتعلمنا درساً في الفراق والموت فهي منذ اكثر من عشرين سنة تقيم في القاهرة هذه الشاعرة التي القت بظلال تجربتها في الشعر الحديث على الاجيال عراقية عربية حتى بات لا ينظر للشعر الا من خلال كتابها قضايا الشعر المعاصر.

نبأ صاعق رحيل احدى القمم التي لا تعوض.

الشاعر علي نوير رئيس اتحاد ادباء البصرة قال:

تلقينا ببالغ الحزن نبأ وفاة الشاعرة نازك الملائكة وبذلك انتهت الرحلة المضنية لجسد هذه الشاعرة الكبيرة التي أغنت التجربة الشعرية العراقية الحديثة.

الشاعر كريم جخيور قال:

لماذا نحتفي بعظمائنا عندما يموتون، نازك الملائكة، شاعرة رائدة في الشعر العراقي والعربي على حد سواء فهي أول من دق الاسفين في الشعر الكلاسيكي من خلال حياتها الابداعية لكونها أسست للحداثة العربية شعراً وتنظيراً.

اما الشاعر عبد الكريم البصري فيقول:

حينما يموت الشاعر فأنه يختزل الزمن وان اروع ما يختم الشاعر حياته فيه هو الحدث لأن العظماء لا يموتون كما تموت الاشياء.

وقال الشاعر مقداد مسعود:

قدر الكثير من المبدعين العراقيين ان يعيشوا في الغربة ويموتوا في منافيها ايضاً فشاعرتنا الرائدة الكبيرة عاشقة الليل نازك الملائكة تموت بعيداً عن الوطن لتبقى علامة مضيئة في مسار الشعر العراقي.

الشاعر خضر حسن خلف قال:

نعزي انفسنا وادباءنا البصريين بوفاة الشاعرة الكبيرة نازك الملائكة التي تبوأت مكانة شعرية رائدة ومهمة .

الشاعر عبد السادة البصري قال:

اما كان الاجدر بنا ان نوليهم الاهتمام الكبير وهم احياء لاشك ان موت الشاعرة الكبيرة نازك الملائكة سيترك فراغاً ثقافياً عراقياً وعربياً.